بسم الله الرحمن الرحيم

عن شَدَّادِ بْن أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: ((كَانَ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ)).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: ((اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهَّ: تَخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا)).

فالثبات على الحق والتمسك به من صفات المؤمنين الصادقين، وعلى قدر ثباته على شرع الله تعالى في هذه الحياة الدنيا، يكون ثباته على الصراط المنصوب على متن جهنم يوم القيامة، وعلى قدر سيره على هذا الصراط في الدنيا ،يكون سيره على ذلك الصراط يوم القيامة، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم المخدوش، ومنهم من يسقط في النار.

وللثبات على الحق والهدى والطاعات أسباب، ومن هذه الأسباب:

١-الشعور بالفقر إلى تثبيت الله تعالى، قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[إبراهيم٢٧].

٢- ترك المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها، ففي الصحيح: ((قال صلى الله عليه وسلم: لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) وأما صغائر الذنوب فقد تكون سببا في هلاك العبد، فعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ)).

٣-الإقبال على كتاب الله تعالى تلاوة وتعلماً وعملاً وتدبراً فإن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أنزل هذا الكتاب المجيد تثبيتاً للمؤمنين وهداية لهم، قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}[النحل -١٠٢]، فكتاب الله هو الحبل المتين، الذي من تمسك نجا، والضياء المبين لمن تمسك وعمل به.

والنبي صلى الله عليه وسلم قد أنكر على بعض الناس كانوا يجتهدون في الطاعات، ثم يتقاعسون عنها، ففي الصحيح: قَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: قَالَ لِي رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: ((يَا عَبْدَ اللهَّ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةِ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا)).

وكانت عائشة رضي الله عنها تصف عباداته صلى الله عليه وسلم فقالت: كَانَ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))، فكان صلى الله عليه وسلم أنه إذا ابتدأ طاعة لا يتركها، حتى إنه صلى الله عليه وسلم شغله تقسيم الصدقة عن سنة الظهر، فأقبل عليه العصر فصلى الفرض ثم صلى بعده سنة الظهر قضاءً حتى لا يترك هذه العبادة التي ابتدأها.

وروى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قال: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)).

وهذه الاستقامة لا تتأتى بالأماني، وإنما لها شرائط وأسباب منها:

١-الاستعانة بالله: أن تعلم أن الذي أقامك لعبادته في رمضان هو الله، وهو وحده القادر على أن يعينك على المداومة والاستمرارية فليست الاستقامة قوة منك ولا قدرة فيك، وإنما هي محض منة من الله وفضله، لذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا)).

٢-المجاهدة: فالاستقامة لا تتحصل بالنوم، ولا بالاستمتاع بكل ما لذَّ وطاب من الشهوات والملذات، بل تتأتى بالمجاهدة والمثابرة والمصابرة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[العنكبوت:٦٩]{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[السجدة:٢٤] قيل للإمام أحمد :متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: إذا وضع قدمه في الجنة.

وحذَّرنا ربنا سبحانه أن نكون مثل(ريطة بنت سعد) امرأة مجنونة كانت بمكة، كانت تغزل طول يومها غزلاً قويًا محكما ثم آخر النهار تنقضه أنكاثا، أي: تفسده بعد إحكامه، فقال تعالى :{وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}[النحل:٩٢].

-فهذا التحذير ينطبق على من ذاق حلاوة طاعة الله تعالى في رمضان، فحافظ فيه على الواجبات وترك المحرمات، حتى إذا انقضى الشهر المبارك انسلخ من آيات الله، ونقض غزله من بعد قوة أنكاثا.

-هذا التحذير ينطبق على الذين كانوا يحافظون على الصلاة فلما انقضى رمضان أضاعوها واتبعوا الشهوات.

-وعلى الذين كانوا يعمرون المساجد ويداومون على قراءة القرآن فلما مضى رمضان هجروا المساجد وهجروا القرآن.

وقد قال أهل العلم إن من أعظم علامات الرد وعدم القبول عودة المرء إلى قبيح الأعمال بمجرد انتهاء زمان الطاعة.

فنعوذ بالله من الخذلان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين